

الباب الثاني  
الاتجاه الماركسي

تمهيد:

الفصل الأول : الوعاء .

الفصل الثاني : المبدأ .

الفصل الثالث : ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين .



## تمهيد

لم تتغلغل الشيوعية في الشرق الإسلامى ، كما تغلغل الغرب ، ربما لأن الأخير أسبق زمنا وأرسخ قدما .

وربما لأن الأخير أدرك في الوقت المناسب طبيعة هذا الشرق ، فكف عن الحرب السافرة له في عقيدته ، وتلون باسم الحضارة أو المدنية أو التغريب أو التغيير الاجتماعى لينشر العلمانية ، وتحرير المرأة ، وإضعاف الدين ، دون أن يشعر أكثر المسلمين .

لكن الماركسية أخطر على الشرق الإسلامى من الغرب ، بما تحمل في «أسلوبها» من «خداع» ينطلى على عامة الناس ، خاصة من يُخاطبون أول ما يُخاطبون ممن يسمونهم طبقة «الصعاليك» أو البروليتاريا أى طبقة العمال الكادجة وبما تحمل من تحذير لهذه الطبقة أنها إليها سيتول الحكم ، وأن لها المكاسب من دون سائر الطبقات<sup>(١)</sup> .

ثم بما تحمل في غايتها من تحطيم لعقيدة هذه الأمة وقضاء على دينها ، باعتبارها في البداية وفي النهاية قائمة على الكفر بالله والإلحاد في أسماائه ورفض كل الأديان ، وإن اتخذت «تخطيطا» مرحليا بعدم الهجوم على الأديان ، أو الزعم بأنها هى الأخرى اشتراكية ويسارية « إلخ . وهى في سبيل هذه الغاية - حين يلوح لها النصر أو التمكين - تدوس كل شىء ، وتهلك الحرث والنسل ، وتغرق البلاد في حمامات الدم لتقضى على كل خصومها ، وليظل الردع ماثلا لكل من تحدته نفسه بالخروج عليها .

(١) راجع : أفينون الشعوب للأستاذ عباس محمود العقاد - الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥ - الناشر : دار الاعتصام - القاهرة .

وقد عاشت الماركسية - منذ صارت لها دولة - تبذل الكثير لنشر مبادئها ،  
ورسمت لنفسها «خطة» الزحف عن طريق « الشعوب » أو الطبقات الكادحة ،  
ليتم التغيير من القاعدة ، لكنها منذ سنين قليلة راحت تجرب « لعبة » الولايات  
المتحدة الأمريكية لتجرى التغيير من القمة « بدلا من « القاعدة » عن طريق  
الانقلابات العسكرية .

ونجحت انقلاباتها في بعض البلاد في الاستيلاء على السلطة .

لكن هل تنجح في تغيير القاعدة ؟

والماركسية تستعد ، لترث حضارة الغرب ، وهو أمر وارد :

أولاً : لأنها اليوم<sup>(١)</sup> تعيش «شبابها» وحضارة الغرب تعيش كهولتها .

ثانياً : لأن لها من السحر والخداع لعامة الناس ، وخاصة الطبقة العاملة ما ليس  
لغيرها من مبادئ الغرب .

ثالثاً : لما يعيشه الغرب الآن من تفسخ وانسلاخ من دينه ، بما لا يحميه من ذلك  
الكفر الصراح .

وأخيراً : لما أشرنا إليه وسوف نشير إليه بإذن الله من أن أساس الحضارتين  
واحد، فلا غرو أن ترث الأخت أختها .

ومن ثم

فكلماتنا رغم موضوعيتها وأساسها العلمي تحمل النذير لأمتنا .

إن البساط يسحب من تحت أقدامها .

وإن الدمار و « الفناء » ينتظرانها، إن هي غفلت - بعد اليوم - ولو لحظة .

أو إن هي فرطت - بعد اليوم - ولو ذرة .

---

(١) مثل هذه العبارات (اليوم) و (الآن) إنها ترجع لتاريخ بداية تأليف الكتاب، أما الآن فلا يخف على  
القارئ ما وصلت إليه الماركسية .

ونحسب أن نقطة البداية الطبيعية لمثل هذه المبادئ الخادعة أن نتعرف وعاءها -  
فكل وعاء بما فيه ينضح، والبيئة التي نشأت فيها، ثم الرجل الذي نادى بها .  
ثم نعرض بعد ذلك للمبدأ، في أصله .  
وفي محاولة تطويره، لتلافي عيوبه .  
وأخيرا، لما فعلته الماركسية بالمسلمين .  
ابتداء من أرض القرم والقوفاز .  
وانتهاء إلى أرض اليمن والصومال .  
والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .  
وإن الحكام أول المسؤولين، ليس فقط أولئك الذين سمحوا لها - عن علم -  
بالوجود على أرض المسلمين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين  
يضلونهم بغير علم - بل كذلك أولئك الذين يمهدون لها - عن جهل - الطريق،  
ونعنى ذلك الفريق الغارق في شهواته، المبذر في أمواله وأموال المسلمين من غير  
إقامة لعدالة الإسلام الاجتماعية بين الفقراء والمحرومين.

## الفصل الأول

### الوعاء

دراسة المبدأ بغير وعائه دراسة قاصرة .

ذلك أن الفصل بينه وبين ذلك الوعاء فصل تحكّمي .

والإلا

فإن نافخ الكير «يمكن أن يخرج» مسكا ، وحامل «المسك» يمكن أن يخرج شرارا، وصدق الله العظيم : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] .

والحديث عن وعاء الماركسية يشمل :

البيئة التي ظهرت فيها .

ثم الرجل الذي نادى بها ، وحسبنا ذلك .

وإن كان في كثير من النماذج الأخرى الداعية إليها ، الكثير من سمات أصحابها الأولين .

## المبحث الأول

### البيئة

ظهرت الماركسية أول ما ظهرت في أوروبا .

وكان كل شيء - هناك - يمهد لها .

الدين .

الاقتصاد .

الفلسفة .

ولنعط كلا كلمة .

أولا : الدين في القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup> :

قاست أوروبا الكثير مما آل إليه أمر دينها ، هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها .

ففى الوقت الذى بدأت تفتح فيه على العلم وتأخذ بأسبابه .

وفى الوقت الذى اتصلت فيه بالشرق الإسلامى - بأكثر من طريق - وعرفت

عقيدته السهلة وشريعته السمحة ، تفتحت آذانها وعيونها ، على دين معقد يصادم

العقل ويرهقة .

فمن قائل بأقانيم ثلاثة : ( الأب والابن والروح القدس ) .

ومن قائل : « المسيح ابن الله » .

ومن قائل : « إن الله هو المسيح ابن مريم » .

وكل ذلك تحريف لدين المسيح - ~~الكليلة~~ - وخروج عليه .

فكيف لأبناء « عصر النهضة » أن يسيغوا ذلك « الخط والخبط » ؟

(١) راجع عرضا طيبا فى كتاب للأستاذ عبد الحليم خفاجى ص ٦٩ وما بعدها .

وكيف بمن سمعوا شيئا عن عقيدة الإسلام : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإخلاص] .

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسبغ ذلك التعقيد ؟

ثم كيف مع ذلك التعقيد ، بما انحدر إليه رجال الدين .

« كرسى الاعتراف » ، صكوك الغفران ، قرارات الحرمان .

وأخيرا تلك الوصمة التي لا تنسى :

اضطهاد العلم والعلماء ، وتكفيرهم ، وسوقهم إلى محاكم التفتيش لترتفع أعظم الرؤوس على أعواد المشانق .

لم يكن بعد ذلك غريبا أن ترتفع الصحيحة :

« اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

ثم بأن تكون « الردة » عن ذلك الدين ، إلى دين ماركس .

ثانيا : الاقتصاد في القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup> :

كانت الرأسمالية في عنفوانها .

أصحاب المزارع الكبيرة « يمارسون » الإقطاع .

وأصحاب المصانع - بعد الثورة الصناعية - يمارسون إقطاعا من نوع آخر .

قلة تملك وتكدس الثروات ، وتعيش حياة « الترف الداعر » .

وملايين محرومة ، تعيش حياة البؤس والشقاء ، وتشهد من قريب من يرفلون في

عرق جبينهم .

والتطرف يفضى إلى تطرف ، ذاك قانون الطبيعة .

(١) راجع تفصيلا في مؤلف الدكتور محمد البهي « تهاوت الفكر المادى بين النظرية والتطبيق » ص ١٧ وما بعدها - الناشر : مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة - أكتوبر سنة ١٩٧٥ .

فليس غريبا أن تستمع الطبقة الكادحة لذلك النداء الخادع : يا صعاليك العالم ، اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس عندكم من شيء تفقدونه غير القيود والأغلال<sup>(١)</sup> .

وليس غريبا أن يصدقوا نظرية « فائض القيمة وإلغاء الملكية الفردية » وشيوعية المال وأسطورة : من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته .

ثالثا : الفلسفة في القرن التاسع عشر :

كانت الفلسفة السائدة في ذلك القرن هي ما يمكن أن يسمى بالفلسفة المثالية والتي كانت ميراثا كبيرا ، منذ « أفلاطون » إلى « فيورباخ » .

وقد أغرقت في التحليق في الخيال ، وأغرقت كذلك في الخوض فيما ليس لها فيه علم ، مثل كثير من « الإلهيات » ، فكانت الفلسفة المادية القائمة على « الحس » رد فعل لتلك الفلسفة المثالية المغرقة في الخيال<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كان الدين - في أوروبا - يمهد للماركسية .

وكانت الرأسمالية - في أوروبا - تمهد للماركسية .

وكانت الفلسفة المثالية في أوروبا - تمهد للفلسفة المادية .

وكان على البشرية كلها ، أن تكفر عن « خطيئة » أوروبا بخطيئة أخرى ، وهي الماركسية .

وقبل أن نعرض لها ، نلقى بعض الضوء على صاحبها ، ومؤسس أول دولة لها ؛

ليكتمل الحديث عن الوعاء .

---

(١) هذه صيحة ماركس ، استغل فيها نكسة الرأسمالية وارتكاسها ليتقل بالعالم إلى نكسة وارتكاسة أشد خطورة .

(٢) راجع عرضا جميلا للأستاذ عبد الحلیم خفاجی عن أن الفلسفة المادية كانت تعبيرا عن أزمة الفلسفة المثالية من ص ٥٥-٦٦ من كتابه القيم (حوار مع الشيوعيين في أقيية السجون) الطبعة الأولى ١٣٩٤-١٩٧٤ - دار القلم - الكويت .

## المبحث الثاني

### مؤسس الفكرة

أولاً: اليهود و «الفكرة» :

مؤسس الفكرة : ماركس .

ومؤسس الدولة: لينين .

وكلاهما من أصل يهودي .

وحتى لا نفرق في الحديث عن صناعة اليهود للفكرة وصناعتهم للدولة وما قيل عن «تخطيط» اليهود للثورة البلشفية<sup>(١)</sup>.

وتمويلهم لها<sup>(٢)</sup>.

واشراكهم بأعضاء منهم في مجلس الحزب والثورة<sup>(٣)</sup>.

ثم في مجلس السوفييت الأعلى الحاكم<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا ما قد يتضح من بروتوكولات حكماء صهيون - وما يؤكد تنبؤ ناشر هذه البروتوكولات العالم الروسي «سرجي نيلوس» منذ سنة ١٩٠١ بقيام الثورة البلشفية في روسيا، وهو ما حدث فعلاً بعد ستة عشر سنة من تنبئه.

وفي مجلة يهودية أمريكية في ١٠/٩/١٩٢٠ أن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم، وأن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم ونتيجة لتدبير اليهود، ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم (مجلة أفريكان هيرو).

(٢) تشير كثير من المؤلفات إلى أن تمويل الثورة الشيوعية قام به خمسة من اليهود هم: جاكوب شيف، جوحنايم ماركس بريتوغ وأتوكان، راجع محمد خليفة التونسي (الخطر اليهودي)، ماجد الكيلاني - (الخطر اليهودي على العالم الإسلامي)، حقيقة الشيوعية - سلسلة اخترنا لك - دار المعارف بمصر تجربته عربي في الحزب الشيوعي لقرى قلعي - بيروت.

(٣) كان من اليهود في مجلس إدارة الحرب والثورة: ١ تروتسكي ٢ جوف - ٣ لينين ٤ - اتشليخت ٥ - سويردلوف ٦ - لورتسكي ٧ - جوسيف ٨ - مولوتوف ليس يهوديا ولكنه متزوج يهودية راجع ما سبق.

(٤) كان المجلس الحاكم على عهد ستالين مكونا من ١٧ عضوا منهم ١٤ يهوديا على النحو التالي: كاجاتوفتش (نائب رئيس المجلس) بيريا، شفيرنيك، كيرتشنستين جوركين، فيرشيلوف، مولوتوف، إيليا إبراهيمبرج، ويفنكسي، هيسنجر، ميخيليس فرمين جودي، لوزوفسكي... علاوة على أن رئيس المجلس ستالين كان متزوجا من يهودية ويذكر أمان راجوزا في كتابه عن ستالين أن جدته لأمه كانت يهودية.

ورفعهم شعارهم ، شعارا للثورة البلشفية نفسها<sup>(٢)</sup> .

كل ذلك ، وإن كان أكثره صحيحا - إن لم يكن كله - فإنه في الوقت نفسه يتضمن لونا من الدعاية اليهودية بقصد إلقاء الرعب في قلوب أعداء اليهود ، وحمل الآخرين على تقبل مطالب اليهود .

نقول : لا نفرق في ذلك ، لنعرض لماركس صانع الفكرة .

ونترك صناع الدولة « اكتفاء بالإشارة السابقة » .

ثانيا : ماركس :

وندع أنه من أصل «يهودي» .

وإن كان لذلك الأصل تأثيره ، بما عرف عن الطبيعة اليهودية من حقد والتواء وبها عرف منها من تقديس للمادة : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٦] أية حياة ، ولا شك أن للوراثة أثرها ، نعرض عن ذلك حتى لا نحاج بأننا نحمل الرجل أوزار أجداده وآبائه ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [فاطر : ١٨] .

لكننا نشير إلى أشياء ثابتة في حياة كارل ماركس :

١- ما وصفه به أبوه من طبيعة تميل إلى الهدم والتدمير والأناية .

٢- ما قبله على نفسه أن يعيش بعد وفاة أبيه عائلة على أمه وأخواته يأكل من نصيبهن في الإرث بعد أن أكل نصيبه ، وذلك بدلا من أن يعولهن وهن الإناث الضعاف .

٣- ما قبله على نفسه أن يعيش عائلة على صديقة «فريدريك إنجلز» .

٤- ما ارتكبه من غش واحتيال على بعض دور النشر ، إذ باعها حق نشر بعض كتبه في الوقت الذي كان يبيعها إلى دور أخرى .

٥- موت ابنتيه منتحرتين .

واحدة (ألينورا) بعد أن عاشت (في الحرام) مع عشيق لها ثم اكتشفت سبق زواجه ، والثانية (لورا) خوفا أن تدركها الشيخوخة .

(٢) يتخذ اليهود الأفعى الرمزية رمزا لأمتهم كما يتخذون النجمة السداسية شعارا لهم ، وقد اتخذت الثورة البلشفية شعارا لها الأفعى الرمزية وبدخلها النجمة السداسية .

ونحن وإن كنا لم نأخذ كارل بذنب آباؤه ، فإننا لا نأخذه بذنب بناته كذلك ،  
ولكننا نتساءل : كيف لم يستطع ذلك العبقري أن يربي بناته ، بل لم يستطع أن  
يعرفهن طريق الحياة الصحيح <sup>(١)</sup> .

ولنحاول بعد ذلك أن نتعرف على الماركسية مبدأ ، بعد أن عرفناها وعاء ، فيما  
عرضنا له من « البيئة التي نشأ فيها ، ثم من الشخص الذي نشأت عنه » .

---

(١) راجع عرضاً جميلاً لأحد عباقرة الفكر الحديث عباس محمود العقاد في كتابه: الشيوعية والإنسانية في  
شريعة الإسلام - نشر دار الكتاب العربي من ص ٢٩-٧٤ وقد أغفلنا الإشارة إلى أمرين :  
الأمر الأول : ما أشار إليه العقاد من اعتلال جسمه ، وما قد يكون له من أثر في اعتلال عقله ،  
فإن ذلك ليس اضطراباً دائماً ، فقد تكون علة الجسم حافزاً إلى توقد العقل واستقامته إذا عرف  
الطريق الصحيح .

الأمر الثاني : ما أشار إليه العقاد من قذارة كارل ماركس البدنية وعدم نظافته ، وما استدل به  
على ذلك نقلاً عن «ليوبلد شوارتشييلد» صاحب كتاب البروس الأحمر ، وغيره من التقارير  
المحفوظة في دار المحفوظات بمدينة لبيج - فقد لا يرى البعض أن تلك القذارة الظاهرية ناجمة عن  
قذارة باطنية .. وقد لا يكون الربط محكماً بين قذارة جسمه وقذارة أفكاره .

## الفصل الثانى

### المبدأ

من مادىة «فيورباخ» وجدلية «هيجل»، أقام كارل ماركس فلسفته على المادىة الجدلية<sup>(١)</sup>، وربطها بأربعة قوانين وبهذه المادىة فسر التاريخ تفسيراً مادياً، وبهذه النظرية المادىة أرجع كل شىء فى الاقتصاد إلى أدوات الإنتاج وقال بفائض القيمة .

وبذا تبدو الماركسية أشبه بالدين؛ نظرة إلى الحياة، وتفسيراً للكون، ونظماً للمجتمع، ولا يتسع المقام للعرض للجوانب الماركسية كمذهب، وكنظام اجتماعى واقتصادى وسياسى، لكننا نكتفى منها بالأساس، فإذا انقض الأساس فبقية البناء محكوم عليه بالسقوط والانهدام، وتبدو الرابطة واضحة بين أساس الماركسية الفكرى، وأساس الغرب الفكرى، بل إن الماركسية مدينة للغرب فى فكرها، فإن ماركس لم يأت بجديد وإنما من التلقيق بين ما قاله هيجل وما قاله فيورباخ أقام فلسفته التى كانت - كما أشرنا - رد فعل للفلسفة المثالية التى أغرقت فى الخيال<sup>(٢)</sup>، أو كما قال بحق أحد الكتاب : كانت تعبيراً عن «أزمة الفلسفة المثالية فى القرن التاسع عشر».

وفلسفة ماركس مضى عليها أكثر من قرن، ومن ثم فهى - كفكر بشرى محكوم عليه بالرجعية، وإن ادعت، أو ادعى أنصارها لها عكس ذلك .

---

(١، ٢) يعترف ماركس وإنجلز ولينين أن ينبوع الفلسفى الأساسى للفلسفة الماركسية كان المثالية الألمانية وأنه لولا الفلسفة الألمانية ولا سيما فلسفة هيجل (ونضيف إليها فيورباخ) لما تأتى للاشتراكية العلمية أن ترى النور .

ماركسية القرن العشرين - ترجمة لكتاب جارودى - التحول الكبير فى الاشتراكية - الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م، تعريب نزيه حكيم .

ويبدو ذلك واضحا في محاولات كثيرة جرت لترقيعها ...

ومنها ما قال به لينين، حين واجهت النظرية العمل والتطبيق، وبدأ امتحانها الحقيقي، ومنها ما أدخله عليها ستالين وخروشوف والمؤتمر الذي انعقد سنة ١٩٦٣ في موسكو من ٢٩ عالما سوفيتيا ليضع «أسس الماركسية اللينينية» مما انهارت معه بعض أسس تلك الفلسفة أمام حقائق العلم الحديث . وأخيرا منها ما قال به الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودى في سنة ١٩٦٦م في كتابه «التحول الكبير في الاشتراكية» .

والذى عرب تحت اسم ماركسية القرن العشرين<sup>(١)</sup> .

وبه بعدت الماركسية كثيرا عن أساسها ، وغضب لذلك أنصارها فأخرجوه من الحزب سنة ١٩٦٩ بعد أن كان يحتل مركز عضو المكتب السياسى وفيلسوف الحزب الشيوعى، وأعقب ذلك رفض الحزب الشيوعى الفرنسى لدكتاتورية البروليتاريا، وتبعه في ذلك الحزب الشيوعى الإيطالى .

وفي الصفحات التى تلى، تحاول - بمشيئة الله - في بحث أن نعرض للمبدأ فى أساسه<sup>(٢)</sup>، ثم نحاول أن نعرض فى مبحث ثان نظرتهم إلى الدين، قديما وحديثا ، ليحق الله الحق بكلماته، ولو كره المجرمون وسوف نلتزم الموضوعية فى عرضنا للمبدأ ومناقشتنا له إن شاء الله .

---

(١) مشار إليه ماركسية القرن العشرين - ترجمة لكتاب جارودى التحول الكبير فى الاشتراكية - الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ تعريب نزيه حكيم .

(٢) بالنسبة للتفسير المادى للتاريخ تراجعت عنه الماركسية فيما قرره فريدريك إنجلز من خطئه هو وصاحبه فى تقديم العامل المادى على غيره من العوامل ... وحسبنا منهم ذلك . وبالنسبة للماركسية كنظام فإن مكان دراستها كنظام اقتصادى علم الاقتصاد وكنظام سياسى علم السياسة وكنظام اجتماعى علم الاجتماع ، بيد أننا - كما أشرنا - بهدم الأساس ينهدم - بإذن الله - بقية البناء ، والله غالب على أمره - راجع لنا عرضا سريعا تحت عنوان فتنة الماركسية فى كتاب (شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها).

## المبحث الأول

### المبدأ في أساسه

تقوم الماركسية على أساس من المادية الجدلية .

فالماركسية تقوم على المادة .

وتؤمن بالجدل .

ولنا في كل كلمة .

أولاً : المادة :

في فكر ماركس - على ما كان سائدا في القرن التاسع عشر- كانت المادة هي ما تقع عليه الحواس ، ومن ثم قامت فلسفة ماركس، ونظريته على أساس من ذلك التعريف الذي صار طالب المدارس الثانوية يعرف اليوم أكثر منه ، وإن أضاف إليه ماركس أن الفكر لاحق على المادة وتابع لها ، ومن ثم فقد عاد لينين ليعرف المادة بأنها الوجود الموضوعي خارج الذهن .

وتتابعت الاكتشافات العملية بأسرع مما تصورت الماركسية .

وصارت الماركسية في حرج من أمرها .

واجتمع أكثر من عشرين عالما سنة ١٩٦٣ م ليضعوا « أسس الماركسية اللينينية» ، فهدموا ما قاله ماركس ، إذ قرروا « أن النشاط الذهني أو الفكري خاصة مميزة للمادة ولكنها ليست شكلا من أشكال المادة

ثم ليقرروا :

وفي الوقت الحالي يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم المادة المنحطة ، ويسجل فيلسوف ماركسي متحرر من الماركسية القديمة جمودها في مواجهة العلم ،

وبعبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات العصر العلمية ، ويدعوها إلى أن تطور نفسها لتتظل صالحة للعصر، لكنها في الواقع إذ تطور نفسها تكاد تنسلخ من أصلها لتصير شيئا جديدا ، يمكن أن ينسب إلى شيء آخر سوى ماركس<sup>(١)</sup> .

وبعد :

هل المادة هي الطاقة ؟

أم صورة منها ؟

وهل الحرارة والكهرباء آخر مراحل المادة ؟

وأين يذهبان حين يختلفيان مع الأثير ؟

وما هو الأثير ؟

إنه ليس بالشيء المادى وإن لم يعرف بعد ما هو .

لا يزال العلم يضيف كل يوم جديدا .

ولا تزال محنة الماركسية قائمة ما استمسكت بقيام الكون على أساس من المادة والمادة فقط<sup>(٢)</sup> .

وهل المادة هي ما يحس فحسب ، وقد أثبت العلم أن ما تقع عليه الحواس من المواد يمثل ٧٪ ولا تقع عليه الحواس ٩٣٪<sup>(٣)</sup> .

ولا تزال محنة الماركسية قائمة وهي عاجزة عن أن تجيب .

---

(١) يتقل الفيلسوف الفرنسي أندريه جارودي عن فريدريك إنجلز قوله على المادية بالضرورة أن تكتسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام بادی الأثر في تاريخ العلوم .  
ثم يتساءل: هل حقق الماركسيون برنامج إنجلز؟

ويجب : لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين «المادية والتجارية؟ النقدية» حيث قضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة «التحول الكبير في الاشتراكية» .  
(٢) راجع عرضا جميلا للأستاذين : عبد الحليم خفاجى ، يوسف كمال محمد ، الأول في كتابه القيم «حوار مع الشيوعيين» ، والثاني في بحثه القيم «مستقبل الحضارة بين العلبانية والشيوعية والإسلام» .

(٣) من بحث لوحيه الدين خان مقدم إلى مؤتمر الفقه الإسلامى بالرياض في ذى القعدة ١٣٩٦ هـ .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿١٣٠﴾ [الطور].

ثانيا : الجدل :

الجدل الذى يمزج ماركس بينه وبين المادة ، هو ما أشار إليه هيجل من احتواء  
الشيء على النقيضين .

وغير ماركس ذلك النسج .

وغيره أن كان العلم - على قرنه التاسع عشر يعتبر الطبيعة قائمة على عنصرين :  
الطاقة والمادة .

ومن ثم أخذ الجدل ، وبنى عليه فلسفته المادية الجدلية .

وأثبت العلم بعده وحدة الطاقة والمادة .

وأن المادة ليست إلا طاقة مركزة .

والطاقة مادة ، لا نقول عنها : إنها طاقة إلا أن تسير بسرعة الضوء ، وكان تفجير  
الذرة تكذيبا لماقال به ماركس من قيام التناقض داخل المادة ، فقد توهم من وجود  
السالب (الإلكترون ) والموجب ( النيترون ) أنها متناقضان، وفات ماركس أن  
الاختلاف لا يعنى التناقض .

إن وجود السالب والموجب داخل الذرة .

وداخل الكهرباء .

وداخل المغناطيس .

بل وفي النبات .

وفي الحيوان .

وفي الإنسان .

لا يعنى أبدا التناقض .

إنه يعنى شيئاً آخر فـات ماركس ، هو التكامل والتزواج ، فمن العنصرين تقوم الحياة وصدق الله : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات] .

ومظاهر الطبيعة الأخرى التى قد تعطى ظلاً من الأختلاف فالليل والنهار مثلاً إنما نعطى فى الحقيقة التكامل الذى أشرنا إليه ، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۗ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۗ ﴾ [النبا] .

ومن ثم فلا تناقض متى وجد التكامل .

بل إنها كلها تسير وفق نظام رسمه لها خالقها : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۗ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس] ، ولا يقع التناقض ولا الصراع إلا أن تخرج المادة عن نظامها الذى خلقها عليه خالقها ، فالذرة لا تنفجر حتى يختل ترتيب الإلكترونات البروتونات، ومثل الذرة كل مظاهر الكون والطبيعة ، لا تختل حتى تخرج عن نظامها المفطور ، أو مدارها المرسوم .

ومثل الطبيعة الإنسان ، لا تناقض فيه بين الذكر والأنثى ، بل تكامل وتزواج : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ ﴾ [الروم: ٢١] ، والتناقض والتنافر لا يتأتى إلا أن يخرج الرجل عن طبيعته أو تخرج المرأة عن طبيعتها . ولا تناقض داخل الإنسان نفسه ، لا تناقض بين روحه وجسده ، بل كذلك تكامل وتزواج ، ولا يأتى التناقض والتنافر حتى تطغى إحدى القوتين على الأخرى .

فيتوهم الإنسان أنه يمكن أن يعيش جسداً بغير روح ، يلبى رغائب الجسد وشهواته ، وفى مقدمتها شهوات البطن والفرج . وينسى أن له روحاً لها غذاء ولها أشواق ، ولا بد معها من الضوابط للقوة الأولى قوة الجسد .

أو يتوهم الإنسان أنه يمكن أن يعيش روحا بلا جسد، فيعرض عن مطالب الجسد أو يكاد ، فيرهق نفسه بالصيام دهورا ، وبقيام الليل كله، وينسى سنة الرسول ﷺ: «إن لربك عليك حقا، ولبدنك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه».

وبذا ينهار جدل «ماركس» ومن قبله جدل «هيجل» ، وتعيش الحقيقة الخالدة: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات] .

## المبحث الثانى

### الماركسية والدين

كان لا بد من هذا المبحث، وإن استغنيا عن كثير من مباحث الماركسية .  
أولا : لأن كثيرا من المتمرسين يزعمون أنه لا كفر فى الشيوعية ولا إلهاد .  
ثانيا : لأن النعمة الجديدة التى صاروا إليها أو ساروا بها ، هى الجمع بين  
الماركسية والدين ، فلا تعارض بينهما .  
ونحاول أن نبين موقف الماركسية من الدين .  
ثم نبين بعد ذلك موقف الدين من الماركسية، وهل يمكن أن يرقع بها الدين أو  
يكمل بها «نقصه»؟

#### أولا : موقف الماركسية من الدين :

لم يخف ماركس رأيه فى الدين .  
بل إن الدين - على قرنه التاسع عشر فى أوربا - كان تمهيدا طبيعيا للماركسية كما  
قلنا بما آل إليه أمره من تعقيد فى العقيدة ، ثم بما آل إليه أمر أهله أو رجاله من تنفير  
وتشويه ، بعد التحريف والتأويل .  
وماركس - وأتباعه - يردد فى أكثر من مكان، أن الدين «أفيون» الشعوب ومخدر  
الفقراء ، وأنه انعكاس لشقاء فعلى ، واحتجاج على هذا الشقاء<sup>(١)</sup> .

وظلت الماركسية تعتر بموقفها من الدين طوال صدامها مع الكنيسة ، حتى إذا  
قيض للماركسية أن تجد لها أتباعا فى شرقنا الإسلامى ، فإذا بها بدأت تراجع موقفها

(١) روجيه جارودى - المرجع السابق ص ١٤٣ وما بعدها ، والدكتور عبد الحليم محمود فى بحثه  
«الإسلام والشيوعية» ص ٣١ و«الإسلام فى وجه الزحف الأحمر» - محمد الغزالى ص ٥٠ وما  
بعدها، جمال عبد الناصر عن الشيوعية فى كتاب ( حقيقة الشيوعية ) .

من الدين ؛ لتتخذ إزاءه «خطوة مرحلية»، بعد ما وجدت من عقيدة الإسلام صخرة صلبة تقف في طريقها، وكان أن قرر بعض المؤتمرات الشيوعية ضرورة الابتعاد عن الهجوم على الدين ، وتلا ذلك نصائح بعض مفكرهم بعدم إنكار أثر الدين ومحاولة الاستفادة منه . وهكذا يقول أحدهم : « وإن هناك لأملاً كبيراً مشتركاً بين ملايين المسيحيين في العالم وبين ملايين الشيوعيين، وهو أن نبني المستقبل دون أن نضيع شيئاً من ميراث القيم الإنسانية التي جاءت بها المسيحية منذ ألفى عام » ويضيف : « إن تكذيب صيغة ( أفيون الشعوب ) التي لخص بها ماركس ولينين تجربة لا سبيل إلى نكرانها ، ليس قضية فحسب ، بل هو أيضاً أمر ممارسة سياسية واجتماعية »<sup>(١)</sup>.

ثانياً : موقف الدين من الماركسية :

ونحن نقصد بذلك ديننا . دين الإسلام .

فلئن كان في ظروف الدين المسيحي - على وضعه الحالي - ما أتاح للماركسية أن تنتهكه بل أن تلتهمه، فليس في ظروف ديننا شيء من ذلك .

ليس في ديننا ذلك التعقيد في العقيدة .

ليس فيها أقانيم، ولا تثليث ، ولا إشراك .

وليس في ديننا شيء من التحريف أو التشويه .

كما حدث لدين المسيح عليه السلام مما حدا بمفكرى الماركسية أن ينظروا إلى الدين على أنه مشروع إنساني «أى جهد بشري» .

ولا وقف علماء الإسلام من العلم مثل ما فعل رجال الدين المسيحي مع العلم والعلماء في القرون الوسطى ، ومن ثم فإن موقفنا من الماركسية يختلف عن موقفهم .

(١) روجيه جارودي - المرجع السابق ص ٢٠٢ - وإن كان يعترف في نفس الوقت بالحداد للماركسية ويميز الحداد الماركسية عن الحداد القرن الثامن عشر الذي كان في جوهره سياسياً والحداد القرن التاسع عشر الذي كان بصورة عامة إحد علموى يقصد أنه علمى أى من تناقض العلم مع دينهم في ذلك الحين، ويسمى الإحد الماركسى الحداد القرن العشرين، ويقول : إنه في جوهره إنسى ص ١٤٣ ، ١٤٤ المرجع السابق، وهو يعتبر الدين جهداً إنسانياً ص ١٦٣ .

ومحاولة التوفيق أو « التلفيق التي يصنعها «أذكياء» الماركسية للتدليس أو التدسس إلى الإسلام - بإعلانهم قبول الإسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهجا - محاولة مفضوحة مردودة .

أولا : لأنه واضح فيها التكتيك المرحلي .

وهو ما كشفت عنه كثير من كتابات مفكرتهم بل ما أوصى به بعض مؤتمراتهم .  
وثانيا : سواء اعتبروا تلك «المصالحة» أو التوفيق «تكتيكا» مرحليا، أو قبلوه استراتيجية دائمة أو حتى أدخلوه في نظريتهم واعتبروه جزءا من أيديولوجية (عقيدة) دائمة .

على كل هذه الفروض، فإن ذلك العرض مرفوض .

لأن القول بأن الإسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهج، قول يتنافى مع طبيعة الإسلام، فهو عقيدة ومنهج حياة .

وهو في هذا لا يقبل التجزئة ، ولا التفرقة ، ولا المساومة .

ولا التلفيق، ولا الترفيع .

ويسمى كل ذلك : كفرا .

وفتنة .

وجاهلية ، ومحاددة لله ورسوله .

﴿ أَفْتُومِنُونَ بِيَعُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ ﴾ [ البقرة : ٨٥ ] .

﴿ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [ المائدة : ٤٩ ] .

﴿ أَفْحُكِّمَ الْجَنَهِلِيَّةِ يَبْغُونَ<sup>٤</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [ المائدة : ٤٩ ] .

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الذين صنعوا الدين رجال ، وهم رجال ، وهم أن يصنعوا مثل ما صنعوا ، ومن ثم لهم أن يشرعوا «الماركسية» كما شرع البابوات «المسيحية» .

وليس في ديننا صكوك غفران ، ولا قرارات حرمان .

وهو في هذا منطقي مع عقيدته ، ومع شريعته .

فعقيدته أن «الشرع» كالحلق خالص حق الله .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف] .

والألوهية التي نرفعها لنا شهادة وشعارا ، ونقر بها لله سبحانه وتعالى ونفيتها عن سواه ، هذه الألوهية من معانيها التسليم لأمر الله وشرعه .

وشريعته كذلك :

شملت كل نواحي الحياة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] ، تشمل الحياة السياسية ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، ولا يمكن فيها فصل حياة عن حياة .

ومن ثم فللماركسية أن تبحث لها عن دين آخر .

تجرى معه التوفيق أو التلفيق .

ولقد سبقتهم إلى ذلك يوما قريش .

فقال الله لهم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون] .

## الفصل الثالث

ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين؟<sup>(١)</sup>

المأساة أكبر من أن تكتب في فصل .

نكتفى فيها بالإشارة .

ونطلب فيها من القارئ - بل نلح - أن يقرأ المزيد .

## المبحث الأول

المسلمون في الاتحاد السوفيتي<sup>(٢)</sup>

الأرض الإسلامية - ميراث محمد عليه الصلاة والسلام - أضعاف أرض روسيا،

فأقاليم الإسلام في الاتحاد السوفيتي تشمل :

١- الأورال .

٢- إسترخان .

٣- سيبيريا .

٤- القرم ( وهى أغنى المناطق بالحصلات الزراعية ) .

٥- القوقاز ( وهى أغنى المناطق بالبترول وبعض المعادن ) .

٦- التركستان بلاد ما وراء النهر (منها إماما السنة البخارى ومسلم، والمفسران

الزمنخشرى والنسفى، وأئمة البلاغة وإعجاز القرآن، عبد القاهر الجرجانى وسعد

---

(١) أما ماذا فعلت في غير المسلمين؟ فمذابح المجر سنة ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا سنة ٦٨ أقرب مثال وخير مثال، وأما ما فعلته في نفسها فاقرأ فيه : أثرت الحرية - ليفكتور كرانثيسكو روسى هارب من جحيم رومانيا .

(٢) هذا عنوان فصل في كتاب : «الإسلام في وجه الزحف الأحمر» ، وجدناه أفضل ما كتب عن حال المسلمين في الاتحاد السوفيتي للداعية الإسلامى الشيخ محمد الغزالى .

الدين التفتازانى ويوسف السكاكى، ومنها الفارابى وابن سينا، ومن علماء الرياضة والفلك خالد والبلخى، ومن علماء الهندسة بنو موسى، ومنها البيرونى، والماتريدى و الخوارزمى ، والسرخسى والجوهري وغيرهم .

ومن الثروات المعدنية :

٢٥٠ منجماً للذهب، ١٦ للفضة، ٤٦ للحديد، ٣٢ للرصاص، ٣٤ للبترول، ٧٠ للقمح، ١٣ للكبريت، ٦٣ للصدوديوم، عدا الأورانيوم والفرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاطين .

وهذه الأقاليم تمثل الشمال الشرقى من العالم الإسلامى .

وهى تمثل من حيث المساحة تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتى ( كانت ٤٠٠ ألف كليو مترا، فصارت بعد ضم البلاد الإسلامية ١٤ مليون كليو متر) .

بعد الثورة البلشفية أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء موجهاً إلى شعوب روسيا من المسلمين - كان من بين من وقعه لينين وستالين - جاء فيه ( مؤرخاً ٧ ديسمبر ١٩١٧ ) : إن امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار، والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً .

وفى وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق، أنتم يا من تشقون وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل .

أيها المسلمون فى روسيا .

أيها التتر على شواطئ الفولجا وفى القرم .

أيها الكرغيز والسارئون فى سيبيريا والتركستان .

أيها التتر والأتراك فى القوقاز .

أيها الجبليون في اتحاد القوقاز .

أنتم يا من انتهكت حرمان مساجدكم ، وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم :

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية ومنظماكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ، لا يطغى عليها ولا يعتدى عليها معتمد .

هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم ، فأنتم أحرار لا حول بينكم وبين ما تشتهون حائل . إلى أن قال البيان :

أيها الرفاق ، أيها الإخوة .

لنتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي .

إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم .

أيها المسلمون في روسيا .

أيها المسلمون في الشرق .

إننا ونحن نسير في الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنتلمس عندكم العطف والعون .

استجابت البلاد الإسلامية وأعلنت استقلالها ( عن الحكم الروسى القديم ) .

فهل تركها الحكم الذى « يحمل الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم » ؟

في أبريل سنة ١٩١٨ - أى بعد أربعة شهور من البيان السابق - أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية ، وسارت الجيوش الروسية بالدبابات والطائرات والمدافع تدمر وتحصد ما في طريقها ، وفي نهاية العام تم لها الاستيلاء على جمهورية « إيديل أورال » وشمال القوقاز ، وحكومة خوقند ، وتأخر استيلاؤها على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها .

وفي سنة ١٩١٩ تم الاستيلاء على جمهورية ألاس أوردو .

وفي أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ، واستأنفت الهجوم على جمهورية أذربيجان واستطاعت إخضاعها .

وفي نهاية سنة ١٩٢٠ استولت على جمهورية «خيو» بعد أن ظلت تدافع دفاع المستميت .

وفي سنة ١٩٢١ استأنفت الهجوم على جمهورية بخارى، ودار فيها قتال مرير ودافع أحفاد الإمام البخارى رحمه الله عن ميراث محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم وحدهم لم يستطيعوا الوقوف في وجه الزحف الأحمر الثقيل ، فهزمت جيوشهم المنظمة ، لكنهم ظلوا يحاربون حرب عصابات مدة عشر سنوات دون أن يتلقوا أية معونة من العالم الإسلامى <sup>(١)</sup>، ونشرت جريدة أفسيتا في عددها الصادر ١٥ يوليو سنة ١٩٢٢ تقريراً للرفيق كالينين عن مجاعة القرم ( نتيجة نقل الروس ما في الجزيرة من أقوات ليضطروهم للتسليم ) .

بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر يناير ٣٠٢,٠٠٠، مات منهم ١٤,٤١٣ .

ارتفع عددهم في شهر مارس إلى ٣٧٩,٠٠٠ .

مات منهم ١٩,٩٠٢ .

بلغ في أبريل ٣٧٧,٠٠٠ .

مات منهم ١٢,٧٥٤ .

وفي يونيه ٣٩٢,٠٧٢ .

( ولم يذكر كم مات في هذا الشهر ؟ ) .

وقد كان سكان القرم في سنة ١٩١٧ م : ٥ ملايين .

فأصبحوا في سنة ١٩٤٠ م .

٤٠٠ ألف فقط .

(١) كان العالم الإسلامى قد قطع إربا، وكانت دولة الخلافة الإسلامية خارجة من الحرب العالمية الأولى، وكان زعيمها مصطفى كمال أتاتورك - لعنه الله - يتأهب لإلغاء الخلافة الإسلامية .

أقل من عشر السكان .

وكانت المساجد ١٥٥٨ مسجدا .

لم يبق منها إلا عشرات .

لجأت الثورة الشيوعية - بعد أن استتب لها الأمر - إلى نفي شعوب بأكملها ليحل محلها الروس ، وفي بيان لوكيل الجامع الأزهر ، ورئيس جماعة الكفاح الإسلامى أرسل إلى الأمم المتحدة ، قدم بعض المهاجرين من الحكم البلشفي الغاشم بعض الحقائق نذكر منها:

أ - في التركستان وحدها: قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم ، ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم ، ومات ثلاثة ملايين جوعا. نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم وإعطائهم للصليبيين ليحلوا محلهم . وفيما بين سنة ١٩٣٧ - ١٩٣٩ ألفت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم فريقا ونفت الباقي .

وقتلوا من علماء الدين : الشيخ برهان البخارى قاضى القضاة ، والشيخ خان مروان مفتى بخارى ، والشيخ عبد المطلب داملا ، والشيخ محسوم متولى ، والشيخ عبد الأحد دارخان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب ، والشيخ ملا عبد الكريم ، وغيرهم كثيرين . ومن الساسة خدمة نياز رئيس الجمهورية، ومولانا ثابت رئيس الوزراء، وشريف حاج قائد مقاطعة ألما آتا، وعثمان أراز قائد مقاطعة كاشغرو، يونس بك وزير الدولة والحاج أبو محسن وزير التجارة ، وظاهر بك رئيس مجلس النواب، وعبد الله داملا وزير الأشغال .

وفي سنة ١٩٤٩ هرب ٢٠٠٠ شخص منهم ١٢٠٠ لقوا حتفهم في الطريق .

وفي سنة ١٩٥٠ هرب ٢٠٠٠٠ مسلم ، وقتلت روسيا منهم سبعة آلاف .

ب - في القرم قتلوا :

سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم جوعا .

سنة ١٩٢٨ قتلوا ولي إبراهيم رئيس الجمهورية مع وزرائه .  
سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباش رئيس الجمهورية وجميع وزرائه .  
سنة ١٩٣٧ قتلوا إلياس طرخان رئيس الجمهورية وجميع وزرائه، بعد  
استدعائهم إلى موسكو أثناء محاكمة المارشال تخاتشفسكى .

### نصوص في الاتحاد السوفيتى :

في دستور سنة ١٩١٨ نص على أن: حرية الدعاية الدينية واللا دينية مكفولة للجميع .  
عدل في سنة ١٩١٩ إلى : حرية إقامة الشعائر الدينية، وحرية الدعاية اللادينية  
مكفولتان لجميع المواطنين .

وفي دستور سنة ١٩٣٦ (م ١٢٤) لكى يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل  
الكنيسة في الاتحاد السوفيتى عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ، ويكفل لجميع  
المواطنين حرية الدعوة ضد الدين .

وفي المادة ١٢٢ من القانون الجنائى السوفيتى تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد  
الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة .

### وواضح من هذه النصوص :

١- التفرقة الظالمة بين حرية التدين وحرية الإلحاد ، فالأولى قاصرة على مباشرة  
الشعائر (إن صدقوا فيها ) ، والثانية ممتدة إلى حرية الدعوة والدعاية ضد الدين .

٢- تنتهى حرية التدين إلى مجرد شعائر بغير مضمون ولا تطبيق إذا وعينا النص  
الجنائى الذى يحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس  
الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة ، فمن أين يأتى لهم التدين الذى يسمح  
الدستور ( المحترم ) بممارسة شعائره ؟

## المبحث الثاني

المسلمون في غير الاتحاد السوفيتي من البلاد الماركسية

ونكتفى فيه ببعض النهاج :

أولا : من الصين :

ونأخذ منها مثلا واحدا .. ما نشرته صحيفة «تمد بات باد» في هونج كونج في عددها الصادر في ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، وهو منشور موجه إلى الحرس الأحمر جاء فيه : « يارجال الحرس الأحمر» لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا - المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم ..

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم سنطردكم وندمركم .

ومن الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار ؛ لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنزير ..

ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم في الصلاة ..

يجب ألا تتكلموا العربية التي هي ضد اللغة الصينية .

ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس ( القرآن ) .

اسمعوا أيها المسلمون :

- دمروا جوامعكم .

- حلوا المنظمات الإسلامية .

- أحرقوا القرآن .

- ألغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك .

- كفوا عن الصلاة .

- ألغوا الختان .

- ادرسوا أفكار ماو .

- إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم ، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم .

- فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى .

- فليحيا طويلا طويلا الرئيس ماو<sup>(١)</sup> .

ثانياً : من يوغسلافيا :

ونقتطف بالنسبة لها من بيان وكيل الجامع الأزهر عن جاؤوا لاجئين :

١- قتل الشيوعيون ٢٤٠٠٠ مسلم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة : ١٥ ألفا من مقاطعة طوزلا . ٣ آلاف من مدينة سرايفوا . ٦ آلاف من ماكيدونيا وكومونا .  
٢- قتلوا مفتي كرواتيا الشيخ عصمت مفتيش والعالم مصطفى يوصولا حيثش .

٣- في سنة ١٩٤٧ حكموا على ١٧ زعيما ألبانيا بالإعدام (من المقيمين في يوغوسلافيا) .

٤- في سنة ١٩٤٩ حكموا على ١٣ زعيما ألبانيا بالإعدام، وعلى آخرين بالأشغال الشاقة .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي، عدد أكتوبر ١٩٦٦ أشار إليه كذلك الشيخ محمد الغزالي في كتابه القيم الإسلام في وجه الزحف الأحمر .

ثالثا : من بلغاريا :

جاء في بيان موجه من هؤلاء المسلمين إلى إخوانهم في العالم الإسلامي ، وأشار إليه خطاب اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا إلى كل من وزير الخارجية السعودي ، وإلى الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٦<sup>(١)</sup> :

نحن المسلمين البلغار نتقدم بالشكر لكل من عمل على نشر قضيتنا للرأى العام سواء كان ذلك بالإذاعة أم بالصحف ، وقد كان لذلك أثر عميق في نفوسنا ، ونود أن نوضح حقائق أخرى عن تلك القضية :

بعد أن شعر المسؤولون البلغار بنشر القضية خارج القطر أذاع راديو صوفيا بيانا باللغة العربية رادا فيه بأن المسلمين في بلغاريا يتمتعون بكل حرية ومساواة مع الآخرين .

لا شك أن هذا الرد غير صحيح وبعيد كل البعد عن الحقيقة كما سنوضح ذلك، ونلفت نظر العالم بأجمعه أن الدستور البلغارى يذكر في المادة (٣٣) .

البند (ب) لكل مواطن بلغارى الحق في أن يعتنق أى دين يرتضيه .

البند (و) لكل مواطن بلغارى يحمل اسما غير بلغارى الحق في رفع قضايا جنائية في حالة تعرضه للأذى أو الإهانة لمجرد حمله لهذا الاسم .

وبالرغم من ذلك فإن الحكومة البلغارية مصممة ومستمرة في تنفيذ مخطط التنصير الماركسى ضد المسلمين .

فقد طلب من جميع المعلمين المسلمين أن يغيروا أسماءهم الإسلامية أو أن يطردوا من أعمالهم ، وألا يسمح لهم بممارسة أى عمل في أى جهاز من أجهزة

(١) الأول برقم ٤٢ في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦م ، والثانى في ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ .

الدولة الرسمية ، ورفض ١٦٥ معلما مسلما أن يغيروا أسماءهم، ولذلك طردوا من وظائفهم، ومنعوا من حق العمل في بلغاريا موطنهم ومسقط رأسهم .

وعند بدء العام الدراسي ١٩٧٢-١٩٧١ طلب من جميع تلاميذ المدارس المسلمين أن يغيروا أسماءهم الإسلامية كشرط لاستمرارهم كتلاميذ وإلا يطردوا من المدارس، ورفضوا جميعهم وطردوا من المدارس .

صدرت أوامر في المؤسسات الحكومية لجميع المسؤولين الإداريين أن يقوموا بإجراءات حازمة لتغيير أسماء المسلمين العاملين في المؤسسات ، وكونت جماعات بوليسية مسلحة من قبل وزارة الداخلية لمراقبة تنفيذ هذه الأوامر ومتابعتها حتى النهاية .

تم القبض على مجموعات كبيرة من المسلمين، ووضعوا في معسكرات أعدت خصيصا لهذا الغرض، وساموهم أمرًا أنواع العذاب، ومن عاد منهم فبرجل مكسورة أويده أو أضلع مكسورات .

تم حصار بعض القرى، وقاموا بانتهاك حرمت المنازل بعد أن حطموا الأبواب والنوافذ، واقتحموها عنوة وقذفوا بأصحابها في الخارج ، وقد لقي عدد كبير من النساء والأطفال حتفهم، وكذلك الشيوخ من جراء الرصاص الذي أصلاهم به رجال الأمن الذين من واجبهم حفظ المواطنين ، وقد تعرض الكثير من النساء والأطفال لنهش الكلاب البوليسية، وقد عارض كل المسلمين تلك الأوامر حتى الفتيات منهم مما أدى إلى إرسالهن إلى السجون ، وإخفاء تلك الجرائم تم القبض على بعض المسلمين واتهموهم زوراً وبهتاناً بارتكاب جرائم قتل المسلمين، وحكم عليهم بالإعدام ، ونفذ فيهم حكم الإعدام .

في يوم ١٠ مايو ١٩٧٢ تحرك حوالي ٥,٠٠٠ مسلم من منطقة بازرجيك ومنطقة بلاقوفقراد وسمولن قراد في مظاهرة احتجاج متجهين إلى صوفيا ( العاصمة ) ،

وكان ذلك في جوف الليل لكي لا يعلم بهم البوليس ، وقد ضم الموكب كل فئات المسلمين من الذين أعمارهم من ١٥ إلى ٧٥ عاماً وكان تحرك الموكب تحت ظروف قاسية وسط الأمطار الغزيرة والوحل ، وعلى بعد أميال قليلة من صوفيا وبالتحديد في محطة إسكار، علمت بهم السلطات، وأرسلت لهم قوة ضخمة من الجيش والبوليس وحاصروهم بالدبابات والعربات المصفحة ، ونقلوهم إلى مدينة بيلو حيث وضعوا في السجون حتى الآن .

وفي ١٢ مايو ١٩٧٢ حوصرت قرية إيلانسكو برجال البوليس ، تصحبهم الكلاب البوليسية ، فتصدى لهم المسلمون بشجاعة وبسالة، وقتلوا أحد رجال البوليس، وكإجراء انتقامي تم القبض على ٣٠ مسلماً، وقدموا إلى محاكمات عسكرية أصدرت أحكامها بالإعدام على ثلاثة من المسلمين وبالسجن على عدد آخر .

في يوم ١٣ مايو ١٩٧٢ حوصرت باكرودا، حيث يشكل المسلمون نسبة ٨٠٪ من عدد السكان، واقتحم الجيش منازل المسلمين عنوة، واقتادوا المسلمين مكبلين بالسلاسل، واقتيدوا إلى مراكز الشرطة ، حيث طلب منهم أن يوقعوا على طلب بتغيير أسمائهم تحت جو من الإرهاب والضرب والتهديد بالسجن والطرده من العمل، وفي هذه الظروف القاسية تمكن الشهيد أمين محمد وفتسر نكوف من الهرب ولكن قوات الجيش طاردته، وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد ، وهو أب لطفلين في ٣٢ عاماً من عمره .

أوقفت جميع المعاشات عن العجزة الذين تقاعدوا عن العمل، وأغلقوا أبواب العمل أمام كل الذين رفضوا تغيير أسمائهم، وحرموهم حق العلاج، وهم الذين أفنوا شبابهم في خدمة بلغاريا .

حدث في مدينة «مدان» أن وضعت امرأة مسلمة في أحد المستشفيات الحكومية ، وطلب منها رسمياً أن تختار لطفلها اسماً غير إسلامي ، فرفضت أن تستجيب

لطلبهم فأخبروها أن هذا أمر حكومي ولا بد أن تنفذه ، فعند ذلك رمت طفلها بين أيديهم وتركته لهم .

في كثير من مناطق المسلمين حطموا المساجد ، وكانوا في الماضي قد منعوا الشباب من دخول المساجد ، والآن قد منعوا الشيوخ، وكانوا ينتظرون موت أئمة المساجد كي يقفلوها بحجة أن إمام المسجد قد توفي .

إلى غير ذلك من الحوادث الشنيعة في مطاردة المسلمين وإذلالهم .

ويختتم البيان بما يلي :

إننا نناشد إخواننا المسلمين والعرب أن يمدوا لنا يد العون، وألا يكتفوا فقط بالاحتجاج ، إذ إن هذا الأمر يحدث على سماع العالم ومرآه ، إننا نطالب وقف هذه الحملة ضدنا دون ذنب ارتكبناه ، ونطلب من الدول العربية التي لها علاقات اقتصادية مع بلغاريا أن تتدخل في الأمر ، وكذلك مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ونرجوا أن يرفع هذا الأمر للأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان ، إذ إننا لا نستطيع الاتصال بهم .

ونسأل الله أن يشد من أزرنا .

وموعدنا الصبح أليس الصبح بقريب .

المسلمون البلغار

رابعا : من ألبانيا :

وننقل هنا عن اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا .

إذا كانت هنالك معان كثيرة ومختلفة توصف بها حالة شعب من الشعوب ، لكي تترجم معانى التضحية والصبر ومعاناة الاضطهاد، وتحمل كل ذلك بنوع كبير من

التحدى لكل شيء، وإن شعب ألبانيا المسلم لجدير بأن تطلق عليه تلك المعانى و الصفات .

وهنا نبدأ بنظرة سريعة مختصرة لتاريخ ألبانيا القريب ، وذلك إلى ما قبل خمسين عاما ، كانت ألبانيا فى حوالى العشرينيات من هذا القرن تحكم بواسطة أحمد زوقو حيث كان ملكا عليها، وكان الشعب فى ذلك الوقت يمارس طقوسه الدينية بحرية سواء المسلمين أو المسيحيين، وفى هذا التاريخ بدأت عواصف الشرى من بعد، حيث وقعت ألبانيا تحت الحكم الإيطالى فى عهد (فكتور أمناولى ) وانتدب ( دوتشه موسيلينى ) ليحكم ألبانيا، أما الملك أحمد زوقو فقد نقل إلى إيطاليا .

ثم بدأت الحرب العالمية الثانية، وكانت ألبانيا مثل جارتها يوغوسلافيا تروح تحت السيطرة الألمانية ، ولأسباب الحرب مع الألمان فقد اندمجت كل من يوغوسلافيا وألبانيا تحت قيادة واحدة برئاسة (تيتو) ، وكان من ضمن القادة البارزين فى حرب العصابات كل من (أنور خوجه ) و (محمد شيوخو) الألبانيين ، اللذين هما الآن يسيطران على الحكم فى ألبانيا، استمر الاتحاد الائتلافى بين يوغوسلافيا وألبانيا من عام ١٩٤٤ إلى ١٩٤٨ ، حيث ظهرت سياسة تيتو المعتدلة مع الشيوعيين والتي لم ترق للقادة الألبانيين فانفصلوا عن يوغوسلافيا وتبنوا الحكم الشيوعى الماركسى المتطرف .

تلك نظرة سريعة ، الهدف منها الوصول إلى معرفة الوسائل التى أوصلت الحكم إلى ما هو عليه الآن .

ألبانيا يبلغ تعداد سكانها المليونين نسبة المسلمين ٨٠-٩٠٪، وباقى السكان مسيحيون، ويتركز السكان المسلمون فى وسط ألبانيا ، ورغم أن المسلمين نسبتهم كبيرة إلا أنهم يلاقون أشد المصاعب والاضطهاد من عنت الحكم الشيوعى الحاقدا . حيث قام الحكام الحاقدون بهدم المساجد ، ومنع المسلمين من أداء شعائر دينهم،

كما أن مواليدهم الجدد لا يتم تسجيلهم وإعطاؤهم الجنسية إلا بأسماء غير إسلامية، وكذلك الموتى لا يتركونهم لأهليهم ليأرسوا عليهم الشعائر الإسلامية، من غسل وكفن وصلاة، كذا لا يدعونهم يدفنونهم في مقابرهم الخاصة، بل يجبرونهم بدفنهم في المقابر العامة مع الشيوعيين، أما عند عقد الزواج فيستحيل ذكر الديانة ويتم العقد تحت اسم مواطن ألباني فقط، وأما بالنسبة للمناهج الدراسية فهي حقلهم الخصب في زرع الإلحاد في نفوس الأطفال الصغار منذ نعومة أظفارهم إلى أن يستوى عودهم، وذلك بمختلف الوسائل التعليمية، والإعلامية وقد حدثنا أحد أولئك الذين اشتغلوا بمهنة التدريس حيث يقول: إن الوزارة أمرت المدرسين بأن يهتموا بغرس فكرة عدم وجود الله في عقول الأطفال، وقد حدث مرة أن سأل طالب عن الله: هل هو موجود؟ فأجاب الأستاذ: نعم، إن الله موجود، وبسبب هذه الإجابة قضى الأستاذ ستة أشهر في السجن، ثم طرد من مهنة التدريس بتهمة أنه يعلم الأطفال أشياء تضر بمستقبلهم، ويذكر الأستاذ بأن الإجابة المتعارف عليها عن الله ورسوله، هي أن الله - والعباد بالله - هو (أنور خوجه) ربهم ومالك نعمتهم، وأن (محمد شيخو) رسوله والمتصرف بأمره.

هذا جزء بسيط، وقطرة من بحر عميق مما يلاقه المسلمون في ألبانيا المسلمة.

خامسا: من الصومال:

أعلن زعيم الانقلاب العسكري محمد زياد بري الاشتراكية العلمية (الماركسية)، ثم أصدر بعض النصوص القانونية: التي تسوى بين الرجل والمرأة في الميراث، وصرح تعليقا على ذلك لإحدى المجلات المصرية<sup>(١)</sup>، ولأن الإسلام دين ثوري، فقد قام بحل بعض المشاكل حلولا فورية ثورية، وكتب شيخ الجامع الأهر يقول: إنه ثبت من قتل بعض علماء الإسلام الذين كتبوا لرئيس الانقلاب يوضحون

(١) مجلة روز اليوسف، ٢ فبراير سنة ١٩٧٦م.

حكم الله في الموضوع ، لقد قتلهم أشنع قتلة لأنهم بينوا حكم الله .  
أما الذي لم يفصح عنه الإمام الأكبر ، فهو أنهم قُتلوا حرقاً<sup>(١)</sup> ، ليعيد للأذهان  
قصة أصحاب الأخدود .

﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾  
﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿ [ البروج ] .

(١) وقد أراد شيخ الأزهر أن ينشر بيانا في الصحف عن تلك المأساة ، لكنه لم يسمح له بذلك .

## المبحث الثالث

### كيف يعملون الآن في العالم الإسلامي ؟

ونقل هنا عن مجلة كومونست السوفيتية الصادرة في أول يناير سنة ١٩٦٤ :

إن بين الاشتراكية العلمية والأديان السهاوية صراعا مستمرا .

لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن إعادة التنظيم الفكري للعقيدة الدينية ومفاهيمها إنما هي بمثابة ( التنقيح للدين ) وتحدياته للاشتراكية العلمية .

ثم تقول :

ستظل العقيدة الاشتراكية في نزاع مع العقيدة الدينية ، ولن يستقر التحول الاشتراكي الصحيح إلا بسيادة الاشتراكية على الدين .

ثم تقول :

وإذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكي تعايشا مع العقيدة الدينية، أو إظهار الاهتمام بها في بعض الحالات ، كما هو الحال في المناطق الإسلامية ، فإن هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت .

ثم تقول :

وفي بعض النظم الاشتراكية الجديدة نجد جماعات من أصحاب المسؤوليات، وهم اشتراكيون فكراً واقتناعاً - يمارسون الفروض الدينية ويشجعونها ، وهم يفعلون ذلك للسيطرة على زمام المعامل الدينية لئلا تتحداهم ، وترى مرحلة التحويل الاشتراكي مرحلة قاسية ، ونحن في الاتحاد السوفيتي لجأنا إلى هذا

الأسلوب أيضا في مناطقنا الإسلامية .

كما يلجأ إليه أقطاب الحزب الشيوعي في إيطاليا الكاثوليكية .

وتضيف المجلة :

ففى مثل هذه المناطق الإسلامية وجدنا أن ممارسة الطليعة الاشتراكية للفروض الدينية يساعدنا كثيرا على مرحلة التحويل الاشتراكي هناك<sup>(١)</sup> ، لأن العبادة العلنية فى الوسط الإسلامى تعبر عن احترام الطليعة الاشتراكية للمشاعر المحلية ، وبالتالي تنتزع هذه الطليعة من هذا الوسط الإسلامى الاحترام والطاعة للقيادة الاشتراكية .

وتضيف :

ولكن من الضرورى أن يأتى وقت تقرر فيه القيادة الاشتراكية قرارا حازما بالأبى مبرر بعد للهدنة مع الميراث الدينى وأصحابه وإلا أدت هذه المهادنة إلى بعث دينى فيه خطر على التجربة الاشتراكية .

وفى النهاية :

« مكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعابده كليا من حياة الناس ، فلا تحطم الفأس ما فى الضمير »<sup>(٢)</sup> .

ولكن مهمة الإلحاد العلمى أن تتركز الدعوة الاشتراكية على الترويج لشعار الثورة، والتركيز على خلق وعى مادى كالدعوة إلى العلم فى نفوس الجماهير؛ لينفروا من الدعوة الروحية التى هى من طبيعة الإيمان ، وليس من الضرورى أن تهنأ من

(١) حرص السيد خالد محمى الدين فى مصر على أداء فريضة الحج، والإعلان عن ذلك، كما حرص على الإعلان أنه يؤدى الصلاة ويؤمن بالإسلام عقيدة ( وطبعاً لا يؤمن بها شريعة؛ لأنه يؤمن بالنظام الماركسى أو كما يسميه الاشتراكية العلمية ) راجع مقالاً له فى جريدة الأخبار فى ١٩٧٦، وراجع مؤلف الدكتور عبد الحليم محمود، الفصل الخامس، المنهج الشيوعى .

(٢) هذا يدل على ذكائهم أخيراً وفهمهم لطبيعة العقيدة الدينية السليمة ( كالعقيدة الإسلامية ) ، ومراجعتهم لخطتهم السابقة .

قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية ، وأن تقول : المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح إلا للأطفال ، فهذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيرا ، وإنما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقلب اشتراكي ، فإذا قلنا : إن يسوع نائر يطلب الحق للفقراء ، فهذا تفسير اشتراكي .

وبمثل هذا نقول عن محمد وغيره :

وحسبنا ذلك بغير تعليق<sup>(١)</sup> .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وعن كتاب صدر في موسكو سنة ١٩٦٧ ، وأعيد طبعه عام ١٩٧٤ م ، عن معهد الإلحاد العلمى بأكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى<sup>(٢)</sup> ، يشير إلى بعض وسائل نشر الإلحاد ومجاربة الدين .

نقتطف منها جزءا ، لنرى أى حرب توجه ضد الدين رغم الدعاية الكاذبة بتعايش الشيوعية مع الدين .

ولنرى أن وسائل الإلحاد هى وسائل التبشير القديمة ، تعيد نفسها مرة أخرى ، وإن حاولت أن تتجنب أخطاء التبشير واقتربت من وسائل التغيير الاجتماعى يقول كتاب نشر الإلحاد الصادر فى روسيا :

والآن، من ذا الذى يعتبر أهلا للقيام بنشر الإلحاد بين معتنقى الإسلام ؟ ذلكم سؤال هام وخطير، إذا كان الدعاية الملحد الذى سيحاور المسلم لا تربطه بالإسلام

---

(١) فى كتاب نحن والشيوعية فى الآونة الحاضرة، - الدكتور سعدون حجازى، دار الطليعة للطباعة، والنشر - ملحق عن موقف الحزب الشيوعى العراقى - كنموذج - من قضية فلسطين ص ٥٨ .  
(٢) قام بالترجمة من الروسية الدكتور سعد مصلوح مدرس علم اللغة الروسية بجامعة القاهرة، ونشرت بمجلة الدعوة السعودية فى عددها الصادر فى ١٢ من ربيع الآخر ١٣٩٦ هـ - ١٢ من أبريل - ١٩٧٦ م بعض أجزاء اقتطفنا منها الجزء المشار إليه .

أية رابطة مشتركة من الناحية القومية، ففي إمكان المؤمن أن يفترض أنه إنما ينقد الإسلام خاصة ولا يتعرض لدينه هو بشيء ؛ لذلك كان من السهّل على الداعية الذى ينتمى، والمؤمن إلى قومية واحدة أن يجرى معه حوارا ، وخاصة إذا بدأ الحوار بينهما باللغة القومية المشتركة ، وإن كان هذا لا يعنى أن علاقة المسلم بمن ينتمى إلى قومية أخرى قائمة بالضرورة على عدم الثقة .

وأيا كانت قومية الداعية ، فلا بد له من معرفة جيدة بالدين والعادات والتقاليد التى يتمسك بها المؤمن ، فخلال العمل بين المسلمين تعد مراعاة السن والجنس عند المؤمنين على جانب من الأهمية ، ومن ثم كان الحديث إلى كبار السن أيسر بالنسبة لداعية متقدم فى السن ، والغالبية العظمى من المسلمات يرفضن الحوار مع الأجنبي ، أما مع المرأة التى تقوم بالدعاية فإنهن أفضل سلوكا إلى حد كبير .

أضف إلى ذلك أن نموذج المرأة النشيطة يؤثر تأثيرا قويا على كثير من النساء ، فالمؤمنات يتجهن إلى محاكاة الصديقة الأكثر ثقافة أو ذات الشخصية الأكثر استقلالا .

ويعين الداعية إلى الإلحاد فى عمله الرأى العام الإلحادى الذى هو مدعو، لأن يقوم بتشكيله، ومن المعروف على سبيل المثال - أن كبار السن يكتسبون نفوذا غير عادى بين المسلمين ، وهذه الخاصية يستغلها كذلك الداعية حين يلجأ إلى مساعدة الشيوعيين المتقدمين فى السن والذين يكونون موضع الإجلال فى المنطقة ، إذ يصغى الناس فى العادة إلى كلماتهم باهتمام خاص وباستعداد لتنفيذ أى رجاء يصدر منهم ، وتمارس لجان الكبار التى تؤسس فى مناطق السكنى والمؤسسات تأثيرا قوميا فى تكوين رأى عام إلحادى، ففي كوخوز «مير» فى منطقة أشخاباد (عشق آباد) امتنع والد طالبة بالصف العاشر اسمها جولينا عطاييف عن إرسالها إلى المدرسة وحاول إرغامها على الزواج ، وتكلم أعضاء لجنة الكبار عن الكوخوز مع والدى الفتاة أكثر من مرة ، وتوصلوا إلى إعادة الطالبة إلى المدرسة . وفى كوخوز «كيناس» يقوم

أعضاء لجنة الكبار بعمل كبير ، إذ يزورون بانتظام البيوت التي يقيم فيها المؤمنون ، وقد توصل هؤلاء الأعضاء الذين اضطلعوا بمسؤولية دفن الموتى إلى أن جعلوا تأثير الشيوخ الرسميين وغير الرسميين يتضاءل في هذه العملية إلى حد كبير، وفي نشر الإلحاد بين المسلمين في دار الإلحاد العلمى بموسكو يعمل الشيوعيون، المتقدمون في السن مثل م . ش . شاجى أحمدوف، وس . خ إسماعليون وج . م ، اختيافون وكثير غيرهم ، وهم يزورون مساكن المؤمنين ويحادثونهم ويسدون إليهم النصيحة .

ويساعد الدعاة مساعدة كبيرة في صراعهم ضد التأثير الدينى ارتداد إنسان ذى شهرة في قضايا الدين يضلح مثالا بالنسبة لبعض المؤمنين، وقد حقق الملحد قادربرزيسوف من كولوخوزكيسيل بولدوزاخ جمهورية تركمانية نجاحا كبيرا في نشاطه الإلحادى ، عندما دعا جماعة من أكثر المؤمنين تعصبا، ثم ارتدوا عن الدين ليخطبوا أمام غيرهم من المؤمنين، وصار الذين ارتدوا عن الإسلام في هذا الكولوخوز عوناً للداعية يارسون نشر الإلحاد بين أفراد المؤمنين .

ويكتسب العاملون في ميدان الطب نفوذا كبيرا بين المسلمين ، وفي نقط العلاج الطبى يستقبل الأطباء مرضاهم للعلاج الصحى والاجتماعى، وهكذا يقدم الأطباء المساعدة الطبية ثم يدور الحديث حول موضوعات العلوم الطبيعية. وقد حققت نقط العلاج الطبى هذه فوائد جمة لقضية تربية السكان تربية إلحادية في مدن أوزبكستان وقراها ؛ ولذا فإن الطبيب ومساعدته من أجود المرشحين لممارسة الإلحاد بين أفراد المسلمين .

ويختص المعلمون في المدارس بدور كبير في الدعاية إلى الإلحاد ، فالبداية الأولى للتعرف إلى الطفل تجعل في إمكان المعلم تحديد التأثير الدينى للعائلة . ومهمته الأولى حينئذ هي إقناع الآباء بالامتناع عن تربية الأولاد تربية دينية، ويمكنه - في الوقت نفسه أن - يؤثر إلحاديا كبيرا على الآباء أنفسهم بإقامة اتصال مباشر بينه وبين

كثير من المعلمين لا يقصرون دورهم على تنشئة تلاميذهم بحيث يشبون غير متدينين، بل إنهم يربون فيهم رسوخ العقيدة في الإلحاد والقدرة على مساعدة المؤمنين على التحرر من أغلال الدين . وقد نشرت صحيفة «الكوسمولى الأوزبكستاني» واقعة طريفة عن رجل عميق الإيمان اسمه غلام أكا ، أحضر إلى طشقند ماء مقدسا من بخارى ، وكم حاول أقاربه أن يقنعوه بأن هذا الماء لا يحوى أى شىء مقدس فلم يقتنع العجوز ، غير أن ابنته كانت تلميذة في الصف العاشر وضعت نقطة من الماء المقدس تحت الميكروسكوب ودعت أباهما أن يمدق النظر ، فقال الرجل في دهشة : ما هذه الديدان ؟ إن نقطة الماء أكبر بمئات المرات ، يا إلهى لم أكن أتصور على الإطلاق أن في الماء المقدس يمكن أن يوجد مثل هذا العدد من الميكروبات إنها معدية، ميكروبات، ألقى هذا الماء يا ابنتى على الأرض في الحال. هذه تجربة بسيطة قامت بها تلميذة أدت النتيجة المرجوة ولم تفلح في تحقيقها محاولات الإقناع والشروح المسهبة .

وتؤدى اللجان النسائية دورا كبيرا في ممارسة نشر الإلحاد بين الأفراد من النساء المؤمنات ، وقد أثرت تأثيرا كبيرا من مناطق سمرقند ، حين نظمت اللجان النسائية في نهار رمضان حفلات الشاي للنساء الصائحات في الشقق والنوادي ، ولم يكن المؤمنات يرفضن الإفطار في مثل هذه الأحوال ، وبذلك كن يخطون الخطوة الأولى في سبيل الانعتاق من الدين .

ومن الأمور التى لها أهمية في نشر الإلحاد بين النساء تكوين رأى عام ضد الحجاب ، وضد تزويج صغار السن من البنات ، وضد المعاملة المهينة للمرأة ، ففى كوخوز ألاتو فى جمهورية كيرغيزيا يتحدث الملحدون إلى الرجال أمام الزوار الآخرين قبل بداية أى أجتتماع أو عرض سينمائى ، يقولون لهم على سبيل المثال : يا

حسن ، قل للناس : لماذا أتيت إلى الحفل بدون زوجتك ؟ وأنت ياموزا أيضا بين الناس لم فعلت ذلك ؟ وهنا كان بعض الرجال بصمتون، ولكن كثيراً منهم كانوا يخرجون ثم يعودون ومعهم زوجاتهم، وهكذا استطاع الملحدون أن يجعلوا كل الرجال يحضرون إلى أماكن الاجتماعات العامة ومعهم زوجاتهم.

وربما كان عميق الإيمان من المسلمين أكثر عزوفا عن حضور الأمسيات والمحاضرات والمحادثات الإلحادية من اتباع أى نظام دينى آخر ، ذلك أن القرآن يستنكر تناول الدين بالنقد ؛ لذلك كانت المناقشات المضادة للدين والكلمات العامة عنه لا تجدى نفعا ، ذلك أن أى طعن على الإسلام يعتبر إهانة صارخة لإنسان رضع من لبن أمه التصورات الدينية التى يشاركه إياها أجداده وأجداد أجداده . وفى مثل هذه الأحوال نجد مثل هذا الإنسان إما أن، ينعلق على نفسه وإما أن يعين كل إرادته وعقله من أجل المقاومة، ولكنه لن يميل إلى قبول حديث عن الإلحاد ، فليس سهلا على الإنسان أن يتخلى عن العقيدة التى نشأ عليها.

لهذا كله لا يمس الدعاة المجربون الدين مسامحاً فى محادثاتهم أثناء ممارستهم نشر الإلحاد بين أفراد المؤمنين ، ولكنهم بعد أن يمهّدوا بإثارة فضول المؤمن يتحولون إلى نقد الدين . وها هو ذا مثال نسوقه للمعلمة ب . وليفا من كوخوز « أكتوبر » فى ضواحي سمرقند . ففى المنزل عندما تجرى هذه المعلمة محادثات مع المتدينات حين يفدن عليها كل مساء لشرب الشاي والاسترواح ، وذلك دون أن تشعر أياً من المشتركات فى الحديث أنها دعوة لكى تنبذ دينها ، ويدور الحوار فى يسر وبلا تكلف عن أحداث العالم وأنباء الكلوخوز لكن ربة المنزل هى التى تحدد لون الحديث ثم توجه الكلام تدريجياً ودون أن تلاحظ الأخيريات إلى الموضوع المقصود ، فتطرح الأسئلة ثم تتولى هى بنفسها الإجابة ، وحينها يستولى موضوع الحديث على ألباب المؤمنات حينئذ تبدأ فى الكلام بحرارة وإقناع عن ضرر الرواسب الدينية.

وهذه قصة يرويها ملحد من موسكو يسمى ك.ح جومиров تمكن من إخراج العاملة رحمة بارانجلونا .

ومن دينها ، يقول الملحد : «أخذت بصفتي ملحداً أزور شقة العاملة المتدنية رحيمة، وكنت أحادثها طويلاً وأقرأ الكتب جهراً، وكانت رحيمة تصمت في أكثر الحالات ولكنها كانت تصغى إليّ باهتمام، وكان واضحاً أن هذه القصص تجذب اهتمامها. من العسير أن تتصور الأمر، لقد سمعت منى لأول مرة عن الأبطال من النساء السوفيت وعرفت لأول مرة أسماء المشتغلات بالعلم من السوفيت ، وتكلمنا معها عن غزو السوفيت للفضاء .

وقد أزعجها كثيراً هذا الموضوع ، وأذهلها على وجه الخصوص أن رجال الفضاء لم يخافوا الله ، بل ربما خافهم الله ما دام لم يحل بينهم وبين أن يصعدوا إلى مثل هذا الارتفاع . وكان على ل . ح جومиров أن يحادثها طويلاً إلى أن خلعت رحيمة ربة الدين من عنقها نهائياً.

ومن الأيسر على الداعية إلى الإلحاد أن يحقق النجاح عندما يكون الرأي العام بين المجموع مكيفاً على نحو لا يفخر فيه الناس بتعليق آيات القرآن في منازلهم ، بل يكون مدعاة للخجل أن يعلقوا الآيات أو أن يقسموا المنزل نصفين ، نصفاً للرجال ونصفاً للنساء ، أو أن يرفضوا الغذاء في نهار رمضان ، أو أن يقوموا بختان أولادهم... إلخ

والملحد نفسه يشكل الرأي العام إلى حد كبير . يقص علينا أ . ب . أفكسييتوف وهو أحد الملحدون في شمال القوقاز : أن عليمه جاجير زونفا شيزوخوفا وهى من المشاركات في النشاط الاجتماعي ، كانت أول من امتنع عن إقامة المراسم الدينية في زواج ابنتها ، وقد وجدت لها في الحال أتباعاً . ويدلنا هذا على أن تلك المراسم قد فات أوانها منذ زمن بعيد ، وما أسرع ما انتشرت الأنباء في المنطقة عن زيجات

جديدة تتم بمشاركة الأوساط الاجتماعية وبدون مراسم دينية ، وهكذا انتهت مثل هذه الزيجات الدينية في أركينخالكي وغيرها من المناطق .

ولابد في العمل على نشر الإلحاد بين المؤمنين المسلمين من أن تشتغل في براعة اللفظة إلى المعرفة، ذلك أن الإسلام إذ يقوم على أساس القرآن إنما يضيق اتهامات معتنقيه ويحددها لكي يثبت الجهل، ولا بد أن نضع الإسلام من ناحية والعلم والحضارة من ناحية أخرى كطرفي نقيض، إذ إن العلم والحضارة وحدهما هما الكفيلان بحق بتلبية رغبات السوفيت في المعرفة .

وليس من قبل المصادفة تلك النتائج الإيجابية التي حققها أحاديث الملحد قادر بيرنيسوف ، وهو من كوخوز كيزيل يولدوز في جمهورية تركمانية مع المتدينين، لقد استطاع أن يستخدم إنجازات العلم في تنفيذ التصورات الدينية . أما الملحد رحمن خوجا ميردييف - وهو مدير مدرسة كيرفا في جمهورية أوزبكستان فقد سمع مرة أحد عمال الكوخوز واسمه رسول جمعايف يقول في حوار معه : « لا قدر الله علينا بنزول البرد . . وهكذا تبين مدير المدرسة أن المتحدث إليه رجل مؤمن . . أدرك هذا ولكنه لم يعر الأمر اهتماما، وأجرى الحديث معه لا عن الله، بل عن ظواهر الطبيعة وعن ماهية المطر والبرد، وكان يتكلم بطريقة مشوقة جذبت انتباه عامل المزرعة ، فأخذ هذا يرجو أن يزوره ضيفا وشرع الملحد يزور عائلة جمعايف ، وكان يبرهن للعائلة باستعمال أمثلة من الحياة بسيطة سهلة الفهم على عدم وجود قوة ما فوق الطبيعة تمنح الإنسان خيرات الحياة ، وأن الإنسان نفسه هو خالق سعادته وهكذا قطع «رسول» علاقته بالدين . وقد أجرى ب . خوجا ميردييف أحاديث مع أحد المشايخ واسمه «تور» ، كانا يتقابلان عشرات المرات، وفي هذه اللقاءات كان يحدثه عن سفن الفضاء كما كان يحدثه عن المجتمع الشيوعي، ثم إن الملحد أطلعته على الجوهر الطبقي للإسلام، وفي مصلحة من كانت عقيدة القضاء والقدر؟ وهنا أعلن

الشيخ « تور » في اجتماع عام لعمال الكولخوز أنه لا يريد بعد الآن أن يعيش هذه الحياة الطفيلية ، وأنه بالرغم من كبر سنه يود أن يعمل في الكولخوز .  
وهكذا تعمل الماركسية ضد الدين في روسيا وفي خارج روسيا ، وإن زعمت غير ذلك...